أعمال التنقيب التدريبية عن الآثار
لجامعة قاريونس - بنغازي
في ليبيا ١٩٧٤ - ١٩٨٣م

توكرة

برئاسة الدكتور

توفيق سليمان

وعضوية الدكتور جمال الحرامي وآخرين

(٢) النص ورسوم الفخار

القسم الثالث

التحليل الطبقي الحضاري
للمكتشفات
من الآثار الثابتة والمنقولة

وضعه الدكتور
توفيق سليمان

مسألة تحديد الطبقات الحضارية

وبما أننا لم نكتشف بعد أساسات كاملة لأبنية، تحت «الطبقة العليا» التي استخدمنا الأرقام الرومانية في وسم حجرات أبنيتها، لذلك سنستخدم أحياناً أرقاماً ورموزاً أخرى في تحليلاتنا الطبقية الحضارية لهذه المنشآت، وسنحاول تحديد الطبقات، استناداً الى عاملين اثنين هما:

- اللقى الأثرية وخاصة الفخارية منها.
- أنماط الانشاءات ومادتها.

أولاً ـ اللقى الاثرية من الفخار

في مصنف الفخـار (القسم الثـاني من هذا المجلد)، عرض علينـا الباحث الدكتور جمال الحرامي نماذج هي عينات جيدة تمثل الأعداد الضخمة من كسر أواني الفخار وأجزائها، التي بلغت في جميع المواسم **٤٨٧٥٢** كسرة. وإن القسم الاعظم من هذه الكسر وأجزاء الأواني هو من فخار الاستعمال اليومي الذي يسمى خطأً «**الفخار المحلي**» (راجع مصنف الفخار). وقد تركز ظهور معظمه في «المبنى الثاني». وعلى وجه التحديد بمحاذاة «الجدار» (آ) وفي المستويات الحضارية القائمة تحته. وأما كسر الفخار الاسود، الذي عثرنا عليه فقد بلغ **٥٥٤** كسرة وانحصر معظمها في منطقة البئر (١). لقد عثرنا في هذه المنطقة على أكثر من ثلث هذا العدد بقليل. ولذلك فإن نصف العدد المختار تقريباً من هذا النوع في هذا المصنف قد اختير من هذه المنطقة وخاصة من داخل البئر (١) نفسه، لأنها أفضل الكسر من هذا النوع وأكثرها سلامة. وقد تنـوعت كثـيراً أشكال الأواني الفخارية في هذا الموقع الذي نقبناه في بعض جوانبه حتى الصخر الطبيعي، كما كثر عدد النسخ من الاناء الواحد، مما يدلنا على أننا لسنا على طول الجدار (آ) وأساسات الجدران (ب) و (جـ) و (د) في مكان ذي وظيفة سكنية. وقد أحصينا عدد الأواني الفخارية، التي كونها هذا العدد الهائل من الكسر فوجدنا أنها كانت قبل تحطيمها حوالي ثلاثة آلاف ومئة وأربعة وسبعين إناءً. عدا عن بضع عشرات من الكسر، التي لم يكن بالامكان ترتيبهـا، ولكنهـا انتمت حكـمًا الى عدد من الأواني الاخـرى التي قد تصل

العشرين إناء. إذن فلا يمكن أن نكون في صدد الكشف عن بناء سكني وإنما عن مجمع «تعامل» أهله بسلعة الفخار في المقام الأول.

وفي هذه الحالة لابد أن يخطر ببالنا، أننا في صدد الكشف عن مطبخ عام وإما عن ساحة معبد كانت تحطم فيه الأواني من الفخار نذوراً للآلهة التي كانت تقدس في المعبد وإما عن أفران لشيِّ الفخار أو متاجر!.

فبالنسبة **للمطبخ** استبعد وجوده بهذه المساحة الواسعة وانه حوى هذه الاعداد الهائلة من الأواني الفخارية المكررة في كثير من نماذجها.

وفيما يخص المعبد وتقديم الفخار نذوراً في ساحته فأستبعده أيضاً، **خاصة أن مثل هذه الأواني كانت فخاراً للاستعمال اليومي**، الذي لا يمكن أن يقدم نذوراً قيّمة، لأنها لا تحمل أي معنى دينياً أو فنياً.

ويبقى الاحتمالان الثالث والرابع «**أفران فخار**» و «**متاجر فخار**» وهما احتمالان يفضلان على الاثنين السابقي الذكر.

ولكن ليس من الطبيعي وجود **أفران فخار** في منطقة تتوسط المدينة بسبب صعوبة نقل المواد عبر شوارعها وأزقتها وما قد تخلفه هذه الأفران من أوساخ. ولذلك استبعد أيضاً وجودها في هذه المنطقة.

وعلى كل حال يبقى اعتبار بقايا المنشآت المعمارية ما تحت «الطبقة الأعلى في الموقع» خلال العصرين الهيللينستي والروماني منشآت ذات طابع تجاري له مبرراته القوية. ومن أهمها وجود منشآت أخرى تكملها مثل «مخازن الغلال» ومصادر المياه، وهذه لا يمكن أن تكون «**خاصة**» بل «**عامة**».

ثانياً ـ أنماط الانشاءات ومادتها

وإلى جانب اللقى الاثـرية الصغـيرة وخاصة من الفخار تلعب أنماط العـمارة ومـواد البنـاء المستخـدمة فيها من حجارة و «عجينة» تقوية الحجارة والمداميك دوراً رئيساً في عملية التأريخ هذه. ولذلك سنعتمد عليها في كل طبقة حضارية نحدد هويتها في هذا الموقع.

ثالثاً ـ الطبقة الأولى
(الطبقة الحضارية الاغريقية)

آ ـ البئر (١)
(اللوحات: ٥٨ آ ـ ٥٨ ت)

لقد عثرنا في المكان بين الجدار (٥) وفي البئر (١) وفي أمكنة أخرى قريبة جداً منهما ما يزيد على ثلث المكتشف من الفخار الأسود، الذي يشكل أقدم المكتشفات الاثرية المنقولة التي ظهرت في هذا الموقع.

لقد نقبنا عمقاً في البئر (١) وسجلنا ـ كما ذكرت آنفاً ـ عمق موقع كل لقية مكتشفـة فيه من الأعلى الى الاسفل، مهما بدت عديمة الاهمية للوهلة الأولى: حجارة غشيم وعظام حيوانات ورديم خليط بلغت سماكة الكل متراً ونصف المتر تقريباً في عمق البئر. ثم بدأ هذا الخليط يختفي لتظهر تحته تربة خليط أيضاً في مستوياتها السفلى قليل من كسر فخار الاستعمال اليومي ويعود

تاريخه الى عصور مختلفة من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الثالث ميلادي (انظر مصنف الفخار).

وتابعنا التنقيب عمقاً، وبدأت كسر الفخار الاسود بالظهور في التربة، وتراوحت أعمارها بين منتصف القرن السادس قبل الميلاد وحتى بداية القرن الرابع قبل الميلاد. وقد أكملت بعض الكسر كسراً أخرى فتكونت منها آنية كاملة. نعم لقد وجدنا في قاع البئر جرة صغيرة كاملة غير منقوصة باستثناء كسرة بسيطة من فوهتها، وتؤرخ هذه الجرة في نهاية القرن السابع قبل الميلاد (اللوحة: ١١٥-١) ومثلها أيضاً صحن سليم القاعدة منقوص المحيط (اللوحة: ١١٥-٢).

واستناداً الى نتائج قياساتنا لأعماق مواقع كسر الفخار والآنية الفخارية، التي ظهرت في هذا البئر تبين أن أقدم القطع زمناً كان أكبرها عمقاً في البئر. وحيث ان تسلسل أعماق الكسر الفخارية في هذا البئر، قد بدأ في نهاية القرن السابع قبل الميلاد وانتهى في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، فإن ذلك يعني أن هذا البئر قد استخدم مصدراً ثابتاً لماء الشرب استمر ما يزيد على ٨٥٠ عاماً.

ولم يردم البئر عمداً إلا بعد أن انخفض فيه مستوى المياه الجوفية. وحدث ذلك بعد أن شحت المياه الجوفية فيه وتراكمت الاتربة في داخله ومعها كسر الفخار والأواني، التي كانت تسقط فيه أو يقذف بها في داخله. وإذا سقط إناء من الفخار في بئر مستوى مياهه عال، فغالباً ما يطفو الاناء أولاً على سطح الماء، ثم يمتلىء به ويرسب الى قاع البئر سليماً في معظم الاحيان. ولذلك عثرنا على الاناء السليم الآنف الذكر في قاع البئر. ولو كان هذا الاناء قد وصل

الى قاع البئر عن طريق الردميات المقصودة لما كنا قد وجدناه سليمًا في هذا العمق الكبير من البئر. وهكذا تراكمت الاتربة والآنية الفخارية وانخفض مستوى الماء في البئر، الى أن صار أمر استثماره غير مجد، لذلك ردم في نهاية المطاف، وتم ذلك مع بداية العصر البيزنطي في توكرة وعلى الأرجح في النصف الثاني من القرن الثالث ميلادي. . . أو في وقت قصير بعد ذلك.

إن للآبار أهمية خاصة في تأريخ مراحل تطور المواقع الاثرية، إذا ما أحسن المنقب عن الآثار أمر الاستفادة منها من خلال دقته في التنقيب داخلها. إذ لا يوجد بئر إلا وتتساقط فيه كسر فخارية أو أواني فخارية كاملة عن عمد أو بطريق الصدفة وتتوضع الى جانب بعضها أو فوق بعضها بعضاً حسب ارتفاع مستوى المياه الحقيقي. ولذلك كانت الكسر والأواني الفخارية في بئرنا متعاقبة العصور. وهكذا يمكننا القول إن بئرنا هذا قد أقامه الاغريق بعد مضي سنوات قليلة على استيطانهم في موقع «توكرة» القديمة خلال الربع الاخير من القرن السابع قبل الميلاد.

وقد نقر «الدرج» المؤدي الى قاعه في داخل جانبين متقابلين من جوانبه الصخرية (اللوحة: ٥٨ت)، باستثناء حجارة مشذبة بنيت على محيط فوهته الدائرية الشكل (المخطط: ٣ واللوحتان: ٥٦ و٥٦آ). ولكننا لا نستطيع معرفة ارتفاع مداميك هذه الفوهة الحقيقي. ولا شك في أنها كانت أكثر ارتفاعاً من وضعها الذي اكتشفناه في موسم تدريب عام ١٩٧٦. وقد حدد هذا الارتفاع عنصران آخران هما: الجدار (٥) و«مكان سقي المواشي !؟».

ب ـ الجدار (٥)
(راجع أيضاً الطبقة الاسلامية ص ٢٠٤)

صحيح أن الجدار (٥) مبني من الحجر الغشيم المشذب قليلاً، وبذلك يبدو وكأنه يعود الى حقبة لاحقة لحقبة إقامة البئر في الصخر كالحقبة البيزنطية أو الحقبة الاسلامية. ولكنها حقيقة أيضاً أن حجارة هذا الاساس هي نفس حجارة فوهة البئر (١)، ولذلك لابد أن يعود نمط تشذيب الحجارة من الجانبين الى عصر واحد. وهناك حقيقة أخرى أيضاً هي أن الجدار (٥) قد أقيم على الصخر الطبيعي مباشرة وفي مكان قريب جداً من فوهة البئر (اللوحتان: ٥٨آ و٥٨ب)، وبالتالي فلابد أن الذي أقام هذا الجدار قد عرف أيضاً بوجود البئر، أو أنه ربما هو الذي نقره في الصخر. لأن اللقى الاثرية التي وجدت في المكان بين الجدار (٥) وبين فوهة البئر هي شبيهة بنظيرها في داخل البئر ويعود الى أقدم عصور الفخار المكتشف في داخل البئر. إذن فلابد أن يكون صاحب الجدار (٥) هو الذي نقر البئر (١) في الصخر الطبيعي. وأما الجدار (٥) فقد استخدم في عصور لاحقة حتى العصر الاسلامي، ويظهر هذا الاستخدام خاصة في المبنى الأول من الطبقة الاسلامية (راجع ص: ٢٠٤).

ج ـ «مكان سقي المواشي !؟»
(اللوحتان: ٦٠ و ٦٠ آ)

وأما المكان الدائري الشكل تقريباً، الذي كشفنا عنه بالقرب من البئر

(١)، فلا شك في أن له صلة مباشرة به. وأعتقد أن المياه كانت تنتشل من هذا البئر وتفرغ في هذا «المكان الدائري» بهدف الاستهلاك اليومي (ربما لسقي المواشي!). وقد تراوح قطره بين ١,٩ م و٢ م وبلغ عمقه ١ م. وحجارة محيطه هي من نفس نمط حجارة فوهة البئر والجدار (٥) نوعاً وتشذيباً، كما انها أقيمت كالجدار (٥) على الارض الصخرية مباشرة (اللوحتان: ٦٠ و ٦٠آ وقارنهما باللوحتين: ٥٨آ و٥٨ب).

د ـ الحوض (١)

(اللوحة: ٨٤ جـ والرسم: ١ آ)

ربما كان حوض ماء، وهو منقور في الصخر الطبيعي، الذي يبلغ عمقه ١,٧٥ م تحت سطح الارض. وبلغ عمق الحوض في بعض مواضعه ٨٥ سم وطول قاعدته ١,٢٢ م. لقد غطت هذا «الحوض» كتلة من الانقاض في المكان الذي أطلقنا عليه الحجرة II من المبنى الثاني في الطبقة العُلوية وعلى وجه التحديد تحت الحفرية التجريبية الثامنة «حـ ت٨» (انظر المخطط: ٤ واللوحة: ٨٤آ)، وهذا يعني أن سمْك هذه الأنقاض قد بلغ ١,٧٥ م هو الآخر وتكون عبر المراحل التالية:

الأولى ـ نتيجة لانهيارات حدثت في الطبقة العُلوية (= الاسلامية) وبسبب مجروفات العوامل الطبيعية وبلغ سمك أنقاض هذه المرحلة ٣٢ سم.

الثانية ـ تسوية أقامها أصحاب الطبقة العلوية هذه لوضع أساسات بنائهم فيها وبلغت ١٨ سم فقط داخل أنقاض محروقة.

الثالثة ـ وتكونت نتيجة لحريق شب في المنطقة وانهارت بسببه الأبنية التي

كان يشكل جزءاً منها وشكلت معظم مساحة الحوض (١) بسمْك بلغ ١,٢٥ م. وعلى سوية المسقط الثالث من الحوض بنيت حجارة منحوتة (اللوحة: ٨٤خـ والرسم: ١آ)، مما يؤكد أن أصحاب هذه الحجارة كانوا يعلمون بوجود الحوض، وربما كونت هذه الحجارة جانباً من عمق الحوض الكلي، كما علم أيضاً أصحاب الجدار (آ) المبني على الصخر مباشرة بوجوده، وأما أصحاب الترميم فيه فقد ردموه ليقيموا أساس جدارهم (آ) المرمم هذا. ولذلك ظهر بناؤهم هنا فوق الحوض (١) نافراً عن خط الاستقامة هذا بمسافة تراوحت بين ٣٥ و١٣ سم فوق المسقط الثاني للحوض (١). (المخطط: ٥ واللوحة: ٨٤آ).

هـ ـ الحوض (٢)
(اللوحات: ١٠٣ - ١٠٣ ب)

لقد ظهر هذا الحوض (٢) على عمق ٢,٩ م تحت المكان الذي كانت تشغله الحفرية التجريبية (١٦) والحجرة VI من المبنى الثاني في الطبقة العلوية (المخططان: ٥ و٦)، ولم تشكل مساقطه زوايا قائمة مع قاعه، بل كان المسقط الأول وهو في الشكل الى يمين الناظر محدباً وسطحه غير مستو بعكس سطح الحوض (١).

وبما أن سطح الارض الصخرية في المكان الذي نقر فيه الحوض (٢) هو أقل استواء من نظيره الحوض (١)، لذلك جاءت جوانبه ليست في استواء واحد. نعم حتى أن المسقط منه ينخفض في استوائه عن غيره من المساقط الاخرى (الرسم: ١ واللوحات: ١٠٣- ١٠٣ب). فالزاوية اليمنى من

الناظر، وهي الزاوية بين المسقط الأول والمسقط الثاني يبلغ عمقها عن سطح الأرض «١,٧ م»، بينما يبلغ عمق اليسرى بين المسقطين الثاني والثالث (عن يسار الناظر) ١,٨ م، أي أن هناك فارقاً قدره «١٠ سم» بين عمقي الزاويتين، في حين تساوت الزاويتان على طرفي المسقط الأول بعمقهما (مقابل الناظر في اللوحة: ١٠٣)، وكذلك هو الحال بالنسبة للمسقط الرابع عن يمين الناظر في اللوحة: ١٠٣.

وقد تراوح سمْك الانقاض التي قامت فوقه بين ٢ م و١,٧٥ م وقد تكونت عبر مرحلتين زمنيتين:

الأولى ـ وكانت بعمق ٧٠ سم وهي بنفس المكان الذي يفترض أن أساسات الطبقة العُلوية كانت تقوم فيه وبعض الحجارة المنحوتة.

وتراوحت الثانية بين ١,٤١ و١,٠٠ م وقد تكونت بفعل انهيارات سابقة لعصر ترميم أساس الجدار (آ)، المطل مباشرة على الحوض، أي نتيجة للحريق الهائل الذي شب قبل عملية الترميم هذه.

و ـ الحوض (٣)

(اللوحة: ١٠٢)

وظهر الحوض الصغير (٣) منقوراً في الصخر بين الحوضين (١) و(٢) (اللوحة: ١٠٢)، وربما كان يستخدم لانتشال السوائل، مياهاً كانت هذه أو غيرها، من أحد الحوضين الكبيرين أو من كليهما. ومستوى صخره الطبيعي أرفع قليلاً من مستوى صخر الحوضين (١) و(٢).

ز ـ البئر (٢)

(المخططان ٧ و ٨)

لقد ذكرنا (ص: ٣٥) أن البئر (٢) يشبه في أسلوب نقره في الصخر البئر (١) ونقر درجاته أيضاً في جانبين متقابلين منه في الصخر أيضاً متشابه مع نظيره هذا، البئر رقم (١). والفارق الوحيد بينهما قائم بين قطريهما لأن قطر البئر (١) يبلغ ١,٢ م بينما لم يتجاوز قطر فوهة البئر (٢) ١ م. وبالرغم أننا لم نبلغ في التنقيب فيه عمقاً إلا حوالي المترين، فإن جميع مظاهره تشبه نظيرها في هذا العمق في البئر رقم (١). ولذلك لا شك في أنه ينتمي الى نفس عصر البئر (١)، أي الى الطبقة الاغريقية المبكرة، الى مؤسسي مدينة «توخيرا».

حـ ـ « الحوض (٤) ! »

(المخططان: ٧ و ٨)

وعلى بعد متر واحد فقط من الحوض (٢) ظهرت الينا فتحة شبيهة في شكلها فتحة الحوض الصغير رقم (٣) في الزاوية الغربية من الحفرية التجريبية الأولى في «ب C1-2» وقد أوقفنا العمل فيه بسبب امتداده في زاوية الحفرية التجريبية على حدود الدربين الفاصلين بين البقعتين C2-1 و C1-2

ط ـ «الحوض (٥)»
(اللوحة: ١١٣ ت)

لا يبعد إلا حوالي متراً واحداً عن «الحوض (٤)!»، وقد حفرنا فيه عمقاً حتى وصلنا حوالى ١ م، ولكنه لم يكن منحوتاً بكامله في الصخر (اللوحتان: ١١٣ ب و ت).

واستناداً الى وضع هذه المنشآت «المائية!» من آبار وأحواض وصلتها الطوبوغرافية القريبة بعضها ببعض (اللوحة: ١٠٦)، والمنقورة جميعاً في الصخر الطبيعي، واستناداً أيضاً الى طبيعة اللقى الاثرية وخاصة الفخارية منها والتي تعود الى الفترات الزمنية الأولى من استيطان الاغريق هذه المنطقة، واستناداً أيضاً الى أن جميع اللقى الاثرية الرومانية والبيزنطية تقوم أيضاً فوقها، فإن الاغريق هم الذين أقاموا هذه المنشآت المائية في الصخر الطبيعي خلال نهاية القرن السابع قبل الميلاد. ولذلك أعارض رأي «جوتشايلد» القائل إن حوضاً كبيراً واحداً فقط كان يزود جميع سكان «توخيرا» بالماء. (راجع المقدمة في المجلد الأول، ص: ٢٧).

رابعاً ـ الطبقة الثانية
(الطبقة الحضارية الهيللينستية)

لا شك في أن سكان «توخيرا» قد استخدموا في العصر «الهيللينستي»

نفس المنشآت المعمارية التي كانت قائمة قبل غزو الاسكندر المقدوني للشرق القديم، إذ لا يعقل أن يكونوا قد هدموا منشآتهم المعمارية وأقاموا بديلاً لها. ولكن الحجارة المنحوتة المستخدمة في وضع أساس الجدار (ب) (المخطط: ٦) تشير الى وجود بعض هذه البقايا. واستناداً الى المقارنات الطوبوغرافية فقد بقيت «المنشآت» المائية مستخدمة كلها في العصر الهيللينستي. كذلك لا شك في أن الجزء الممتد من «الجدار» (آ) باتجاه الجنوب الغربي من «الحوض» (١)، المكتشف في موسمي تدريب عامي ١٩٨٢ م و١٩٨٣ م (انظر المخططين: ٧ و٨) قد أقيم خلال العصر الهيللينستي على الصخر الطبيعي. ان نحت الحجارة وطريقة بنائها (اللوحتان: ٩٥آ و٩٨) ثم بعض اللقى الاثرية التي وجدت على ارتفاع فوقها تؤكد هذا التاريخ. إذن فلم يحدث تغيير كبير مفاجيء خلال العصر الهيللينستي على طبيعة المنشآت «المائية» التي أقيمت في العصر الاغريقي الأول.

والأكيد أيضاً أن هذه المنشآت لم تكن منشآت خاصة خلال العصر الاغريقي، كذلك لم يكن البناء الذي كون الجدار (آ) السابق الذكر أيضاً جزءاً منه، لم يكن جانباً من منشأة خاصة، بل عامة، أي ذات وظيفة خصت جميع أبناء «توخيرا» أو معظمهم. ان تأريخنا هذا لهذه البقايا المعمارية، تؤكده أيضاً لقى أثرية من الفخار وقطعتان من العملة من بين ٤٥ قطعة عثر عليها في هذا الموقع، أرجو أن يعمد قسم الدراسات التاريخية والاثرية في جامعة «قاريونس» على نشرها قريباً، وخاصة قطعة العملة التي تحمل صورة الربة «ليبيا».

خامساً ـ الطبقة الثالثة
(الطبقة الحضارية الرومانية)

لقد استخدم السكان في العصر الروماني المنشآت التي كانت قائمة في العصر الهيللينستي وخاصة الجزء الجنوبي الغربي من «الجدار» (آ)، ولكنهم أدخلوا عليه تعديلات حيث اقتطعوا من أطراف بعض حجارة البناء أجزاء بسيطة تمهيداً لاقامة مخازن الغلال (اللوحة: ٩٧ب). وهكذا أقام الرومان هذه المخازن، التي خصصت للغلال وليس للسوائل بدليل وجود «حجر الرحى» بين بعض هذه المخازن (اللوحة: ٨٠آ وما بعدها) ووجود فوهة الامفورة الضخمة بالقرب منها أيضاً (اللوحتان: ٧٩ و ٨٠ ت).

وأما أساس الجدار (ز) (المخطط: ٧ والرسم: ٤ واللوحة: ١٠٧) فيقوم على «دكة» من الحجارة الغشيم على الارض الصلبة، وتذكرنا تماماً بشبيه لها هو أساس الجدار (و ـ ١) و(هـ) (المخطط: ٧ والرسم: ٥ واللوحة: ٩٢)، ونمط عمارة هذه الأساسات شبيه بنمط عمارة الجزء الجنوب الغربي من أساس الجدار (آ)، ولذلك فهي هيللينستية المنشأ.

وأما الحجرة رقم ١ فيما يسمى «المبنى الثالث»، التي اكتشفت في جدارها الرابع بوابة (المخطط: ٨ والرسم: ٢ واللوحتان: ١١٢ ت و ث)، التي قادت الى منطقة مخازن الغلال، فهي أيضاً من العصر الروماني. ولكننا لم نعثر على الدرج الذي يفترض أنه قاد الى منطقة «مخازن الغلال» هذه، والمبنى الذي اكتشفنا جزءاً منه في منطقة البئر (٢) (اللوحة: ١١٣ آ والرسم: ٣) فهو كذلك من العصر الروماني مع بعض التعديلات من العصر البيزنطي.

سادساً ـ الطبقة الرابعة
(الطبقة الحضارية البيزنطية)

لقد ذكرنا (ص: ١٥١ من المجلد الأول) ما معناه، انه ليس شرطاً أن تكون طبقة حضارية ما في موقع أثري واحد أدنى طوبوغرافياً من مستوى طبقة حضارية أخرى أحدث زمناً منها، لأنها قد تكون في مكان يجاورها وفي مستواها وأحياناً أكثر ارتفاعاً من طبقة حضارية أقدم زمناً منها. لذلك فإن بحثنا هذه الطبقة الحضارية الرابعة (البيزنطية) لا يقل تعقيداً عن بحثنا الطبقة الحضارية الرومانية السابقة الذكر.

وكما هو معروف عن أصحاب الحضارة البيزنطية، فقد اتصفت أبنيتهم عامة، والسكنية منها خاصة بالبساطة. وقد عرف عنها البساطة خاصة عند انتشار الدعوة المسيحية في ساحل شمال أفريقية.

ويمكن تقسيم مظاهر مدنهم من حيث منشآتها المعمارية الى:

١ - المساكن الرومانية، التي استخدموها ولا يتعارض تنظيمها مع عقيدتهم المسيحية.
٢ - المساكن الرومانية المتداعية التي رمموها وجعلوها تتناسب مع حاجاتهم السكنية والدينية.
٣ - أبنية شيدوها لأغراض سكنية أو إدارية أو دينية أو تجارية.
٤ - تجاوزهم في تخطيط المدن في كثير من الأحيان المخطط الروماني لها.

لقد عدل البيزنطيون في مدينة «توكرة» في أبنية كانت قائمة قبلهم، وجاء تعديلهم لها متمشياً مع حاجاتهم ومتفقاً مع عقيدتهم الدينية الجديدة. سواء

أكان المقيم أصلاً فيها أو ذاك النازح الجديد الذي فضل السكن فيها، ولم يجد دوماً الحجارة الملائمة لغرضه. لذلك استخدم بالتعديل أحياناً وبالترميم أحياناً أخرى حجارة اختلفت أشكالها وأنواعها عن التي استخدمها الرومان والاغريق قبلهم. وهنا نستطيع التمييز فيما بينها بوضوح في بعض جوانب الأبنية التي اكتشفناها في مدينة «توكرة» الاثرية.

لقد استطعنا أن نفرز الطبقة الحضارية الاسلامية بوضوح (انظر ص: ٢٠٤ وما بعدها) من خلال شكل حجارة مداميك البناء أيضاً وفرزها من حيث تنظيمها في المدماك الواحد. أما الطابع الذي انفردت به أبنية أصحاب الحضارة البيزنطية فهو تعدد أشكال الحجارة، لأنهم اقتلعوا من هذا المدماك حجرة بناء منحوتة، ومن ذاك حجرة بناء مشذبة ومن ثالث بناء غشيم وألّفوا بين هذه الأنواع في بناء واحد، بل أحياناً في مدماك واحد من نفس البناء الواحد. وهذا ما نلاحظه خاصة في تتمة الجدار (آ) باتجاه الشمال الشرقي بدءاً بالحوض (١) (الرسم: ١ واللوحة: ١٠٦) ويمتد حتى طرف الحوض (٢). لقد ردم البيزنطيون المنشآت المائية الأحواض (١) و(٢) و(٣) و(٤) وأبقوا على البئرين (١) و(٢) (المخطط: ٨). ولذلك جاء إكمالهم للجدار (آ) بالقرب من منطقة الأحواض (١) و (٢) و (٣) و (٤) و (٥) قائمًا فوق جانب من هذه الأحواض نفسها.

وفي الحجرة (ا) من المبنى الثالث أدخل البيزنطيون بعض التعديلات وخاصة على جانبي البوابة التي كانت تؤدي الى مكان مخازن الغلال.

والمبنى الآخر الذي أدخل عليه البيزنطيون تعديلات في بعض مداميكه هو المبنى الذي اكتشفنا جزءاً منه في منطقة البئر (٢) (اللوحة: ١١٣ وما بعدها) ونلاحظ التعديلات هذه في شكل الحجارة المستخدمة، الذي يختلف عن نظيره الآخر لحجارة أساس الجدار الممتد الى الجنوب الغرب من الحوض (١) وهو الجدار (آ).

سابعاً ـ الطبقة الخامسة
(الطبقة الحضارية الاسلامية)
(المخططان ٦ و ٨)

آ ـ ملاحظـات عـامـة

لقد ظهر الينا خلال جميع مواسم التدريب وعلى عمق لا يتجاوز أحياناً الـ «٣٥» سم أساسات جدران مبنية بالحجر العادي (= الغشيم)، ويتراوح عرض هذه الأسـاسـات بين «٥٠» و«٥٥» سم باستثنـاء القليل الذي بلغ عرضـه «٤٥» سم وعـدا أيضاً عن الجدار (٥) الذي تراوح عرضه بين ٧٥ و ٧٨ سم. ومعظم حجارة هذه الأساسات من نوع واحد، هو نوع كلسي صلب. وهذا النمط من البناء هو الأعلى طوبوغرافياً من بين بقايا العمارة التي تحته في المكان الذي نقبنا فيه، وبما انها أساسات لجدران لم تعد قائمة، فطبيعي أن اللقى الاثرية، التي عثرنا عليها فيما بين هذه الأساسات وتحتها لا تنتمي الى العصر الذي حفرت فيه أساسات هذه الجدران:

لقد عمد المعماري المهندس هنا الى ردم المكان من الرماد وتسويته في بعض المواضع التي تحتاج الى تسوية. وبالتالي لابد أن تكون اللقى الاثرية التي يعثـر عليهـا فيما بين الأساسات وتحتها قد جلبت من مكان آخر أو أنها من مخلفات أناس سبقوا هؤلاء في سكن هذا المكان. وطبيعي أن البناء المتين هو البناء الذي تقوم أساساته مباشرة على الصخر الطبيعي، كما هو الحال في الجزء المكتشف من الجدار (٥) المطل على البئر (١) (اللوحتان: ٥٨آ و٥٨ب). وهذا الاخير ليس كذلك إلا لأنه من عصر البئر (١). وأما في جميع الحالات

من أساسات الجدران الاخرى فإن المعماري لم يجهد نفسه في الوصول الى الصخر الطبيعي (اللوحات: ٥٢ و٨٧ و٩٤...). وفي حالات محددة اكتشف المعماري وجود أساسات سابقة لعصره ومن مخلفات حضارة أخرى غير حضارته فاعتبرها أساسات ثابتة ومتينة فأقام عليها أساسات جدرانه (اللوحتان: ٣ و١١١). إذن فلم يعتمد مهندس المباني الأول والثاني والثالث كذلك خطة محددة في تثبيت أساسات جدرانه. وتراوح عدد المداميك التي اكتشفناها في تلك الأساسات بين المدماك الواحد (اللوحة: ٧٧) والأربعة مداميك (اللوحة: ١١١):

ويحق لنا القول إن المعماري لم يكتف دوماً بمدماك واحد لأساسات جدرانه كما ظهر لنا في المبنيين الأول والثاني. لأن ذلك سيضعف بطبيعة الحال كما هو معروف من قدرة الجدران على الصمود أمام العوامل الطبيعية وعلى حمل سقوفها: ولذلك اعتقد أن مداميك من أساسات جدران قد اقتلعت من أمكنتها واستخدمها السكان في إقامة بعض أبنيتهم الجديدة في مدينة «توكرة» الحديثة. ولم يزل أحد هذه البيوت قائمًا في مدينة «توكرة» الاثرية وآهلاً بالسكان حتى تاريخ صدور هذه المجلدات. وقد فعل معمار المبنى الأول الشيء نفسه عندما استخدم عدداً من أنواع الحجارة (المشذبة ونصف المشذبة والغشيم) في نفس المدماك الواحد، كأساس الجدار (١) مثلاً.

ب ـ المبنى الأول[1]

لقد اكتشفنا أساسات هذا المبنى خلال مواسم ٧٤-١٩٧٦ م وخلال جزء من أعمال موسم ١٩٧٧ م ويقع معظمه في «ب C2:1-2». وأما الباقي

---

١) التقسيمات الى مبانٍ تقسيمات اصطلاحية وتخص الطبقة الحضارية الأولى فقط.

فموزع بين «ب B1» و«ب B2». والأمر الذي يزيد من صعوبة دراسة وظيفة هذا المبنى انه لم يبق من معظم أساساته إلا مدماك واحد فقط. وعلى كل حال فإن ما تبقى منه يكفي لأن نضع تصوراً شبه كامل لمخططه وصلته بالمشاهد المعمارية الاخرى المجاورة له من الجهة الشمالية الغربية:

يشغل المكتشف من أساسات هذا المبنى حتى نهاية موسم عام ١٩٨٣ م مساحة تكاد تكون مربعة الشكل:

ويبلغ طول الضلع الجنوبي ـ الغربي الذي يشكله الجدار (٥) ١٢,٤ م، في حين يمتد المكتشف من الضلع الجنوبي ـ الشرقي الذي يكونه أساس الجدار الموسوم بالرقمين (٢) و(١٤) ١٣,٨٥ م. وأما الضلع الشمالي الغربي من هذا المبنى أي أساس الجدار (١٦) فكان طول المكتشف منه أيضاً ١٣,٨٥ م. ومازال ينقصنا الكشف عن الضلع الشمالي الشرقي من هذا المبنى. وقد يتم ذلك عندما يُكشف عن مدى امتداد أساسيْ الجدارين (١٦) و(١٤+٢) في «ب C1:2» وفي «ب B1:2» ويتم ذلك بعملية كشف سريعة وأعتقد أن امتدادهما هذا ليس طويلاً:

لقد أقيمت زوايا هذا المبنى حسب الاتجاهات الجغرافية الرئيسة ولم تكوّن زاوية قائمة بالتقاء أساس الجدار (٢) مع (٥) بل زاوية حادة بلغت حوالي ٨٧ درجة في حين كانت الزاوية الغربية قائمة تماماً:

ومن خلال المكتشف من هذا المبنى، يتبين لنا أن واجهته الرئيسة كانت هي الواجهة الجنوبية الشرقية، وأن الجدار الذي قام على أساس الجدار (١٤) و(٢) كانت تخترقه بوابتان: (آ) و(ب) (اللوحات: ٥٥ و٦٢ و٦٣ و٦٤ والمخططان: ٦ و٨)، كما وجدت بوابة أخرى في أساس الجدار (١٦) داخل حدود الـ «ب C1:2» (اللوحتان ٧٣ و٧٣آ)، وربما كشفت التنقيبات في المستقبل عن بوابة أخرى في الأساس الذي لم يتم اكتشافه بعد وهو «الضلع

الشمالي الشرقي» من هذا المبنى.

وفيما يتعلق بإقامة أساسات الجدران في الأرض فيختلف عمقها من مكان الى آخر:

لم يبق من أساسات الجدران (٢) و(٩) و(١٠) و(١٢) و(١٤) و(١٦)، إلا مدماك واحد وأحياناً جزء من مدماك ثان. وأما الجدار (٥) فقد بقي منه عدد من المداميك وخاصة بالقرب من البئر (١) (اللوحتان: ٥٨آ و٥٨ب)، وفي القسم الأخير من طول أساس الجدار (٥) باتجاه أساس الجدار (١٦)، ظهرت فجوة (اللوحة: ٧٠آ)، وربما كانت فجوة بوابة أيضاً، وتألفت التقسيمات الداخلية لهذا المبنى من حجرات رقمناها بالأعداد الرومانية من I الى VI:

يدخل الزائر عبر البوابة (آ) الى الحجرة I، ومنها يتجه الى الحجرة II عبر البوابة (جـ) (ان كان له فيها حاجة) أو عبر البوابة (آ-١) الى الحجرة III ثم الى الحجرة IV على أرضية حركة مرصوفة فيها البوابة (د)، ثم يسير يميناً ويتابع طريقه الى الحجرة V عبر البوابة (هـ)، ولكي يصل الى الحجرة VI لابد انه مرّ عبر بوابة وجدت في أساس الجدار الذي كان يقوم بين الحجرتين V و VI ثم صار بإمكانه الخروج من البوابة (ب).

وقد ثبتنا عدداً من الظواهر التي تلفت النظر في هذا المبنى:

١ - الشكل الطولاني للحجرة IV.
٢ - أرضية الحركة الصلبة الممتدة من الحجرة IV الى الحجرة V.
٣ - أرضية الحركة المرصوفة بالحجارة والممتدة من الحجرة III الى الحجرة IV.
٤ - ظهور بعض البقايا من الرسوم الجدارية الملونة في الحفرية

التجريبية الثانية (= حـ ت٢) في الزاوية الشرقية من الحجرة ٧ .

أطوال أساسات الحجرات في المبنى الأول :

الحجرة I [٢]

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	١٢	٢,٧٥ م	—	٣,٧٥ م
المتبقى من الثاني مع الانحراف	٦+١	٥,٩ م	٦,١ م	—
الثالث	٥	٢,٢٥ م	٢,٩ م	—
الرابع	٢	٥,٥ م	—	٦,٧ م

وأساس الجدار الرابع (٢) هو أكثر الأساسات التي حل بها الدمار كما نجد انحرافاً في وضع أساس الجدار الثاني (٦+١)، إذ لم يكوّن زاوية قائمة مع أساس الجدار (١١) بل زاوية حادة ويحافظ على هذا الانحراف الى أن يلتقي مع أساس الجدار الثالث (٥) بزاوية منفرجة.

الحجرة II

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	١٠	٤,٢٥ م	—	٥,٥ م
الثاني	٤	٢,٢٥ م	—	٣,٥ م
الثالث	٣	٤,٢٥ م	—	٥,٥
الرابع	١	٢,٢٥ م	—	٣,٦ م

---

٢) اعتمدت هنا ترقيم مساقط الحفريات التجريبية من ١ - ٤ أساساً لترقيم جدران الغرف مثلاً: الأول: ش/شر، الثاني: ش/غ، الثالث: ج/غ، الرابع: ج/شر.

يشكل أساس الجدار الأول زاويتين بالتقائه مع أساس الجدار الثاني (=٤) والرابع (=١). بينما نلاحظ انحرافاً واضحاً في وضع أساس الجدار الثالث (=٣) بالتقائه مع أساس الجدارين الثاني (=٤) والرابع (=١).

الحجرة III

وانحراف جانب منها واضح سببه وضع أساس الجدار الثالث من الحجرة II وشكلها طولاني وأطوال أساساتها هي التالية:

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	٣	٤,٤ م	—	٥,٢٥ م
المكتشف من الثاني	٧	٠,٩ م	—	—
الثالث	٥	٤,٧٥ م	—	—
الرابع	٦	بانحرافه ٢,٥ م	—	—

الحجرة IV

شكلها طولاني بعرض ٣,٢٥ م وبطول يشمل كامل الامتداد المكتشف من الضلع الشمالي الغربي وهو ١٣,٨٥ م. وتوجد حجرة مزلاق باب مما يدل على وجود عتبة باب وهي لم تتوسط أساس الجدار وإنما تقع في الطرف المكتشف منه داخل حدود الـ «ب C1:2» (اللوحتان: ٧٣ و٧٣آ والمخططات: ٤ و٦ و٨). ولا شك في أن هذا الممر كان مسقوفاً بدليل أرضية الحركة الصلبة التي اكتشفت فيها واخترقت أيضاً أساس الجدار (٩) الى أن شملت على الارجح كامل أرضية الحجرة V ولم يبق منها إلا الجزء

المشار اليه في المخططات ٦ و٧ و٨ (انظر أيضاً اللوحة: ٢٣). ويوجد فارق طوبوغرافي بينها وبين «أساس الجدار» (١٠) إذ إنها تعلو المتبقى من أساس الجدار هذا ٧٣٦-٧٢٨=٨ سم فقط كما انها على نفس ارتفاع أساس الجدار (٤) في الجهة الشمالية الشرقية وانها تعلو نقطة التقاء أساس الجدار (٤) بأساس الجدار (٣) بـ «١٣» سم. وهذه فروقات بعضها طفيف وبعضها الآخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار. ومع ذلك فإنها جميعاً تشير الى أن أرضية الحركة الصلبة هذه هي من عمر نفس الحجرة التي توجد فيها. وما قلناه عن أرضية الحركة الصلبة هذه ينطبق على أرضية الحركة الصلبة في الحجرة VI وعلى أرضية الحركة المرصوفة في الحجرتين III و IV : فارتفاع «أرضية الحركة» في الحجرة V عن سطح البحر هو ٧٣٦ سم وأرضية الحركة V هو ٧١٧ سم وأرضية الحركة المرصوفة في الحجرة III هو ٧١٤ سم وأطوال أساسات هذه الحجرة هي :

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	لم	يكتشف	بعد	
الثاني	١٦	١٣,٨٥ م	—	—
الثالث	٥	٣,٢٥ م	—	—
الرابع	٩+٤+٧	١٢ م	—	—

الحجرة V

لقد اكتشفنا من أساساتها أساس جدار كامل هو الثالث ثم القسم الأعظم من أساس الجدار الثاني وجزءين بسيطين من الأساسين الأول والرابع. وهذه هي الأطوال:

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	١١	٠,٢٥ م	—	—
الثاني	٩	٥,٩ م	٦,٥ م	—
الثالث	١٠	٥,٥ م	—	—
الرابع	١٣	٠,٧٥ م	—	٢

وأما **الحجرة VI** فأطوال أساسات جدرانها هي التالية :

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	لم	يكتشف	بعد	
المكتشف من الثاني	١٣	٠,٧٥ م	—	—
الثالث	١٢	٣,١ م	—	٤,٤ م
المكتشف من الرابع	١٤	٧,٢٥ م	—	—

ج ـ المبنى الثاني

واضح أنه شارك المبنى «الأول» بأساس الجدار (١٦) الذي يلتقي بأساس الجدار (٢٠) ويرتكز على نهاية الجدار (٥). فأساس الجدار (١٦) يلتقي إذن الجدار (٥) التقاءً ولم يشبك أصلاً بنهايته هذه. كما أن أساس الجدار (٢٠) من هذا المبنى ينفصل بوضوح هو الآخر عن الجدار (٥) ويتشابك في نهايته مع نهاية أساس الجدار (١٦) مشكلاً معه زاوية قائمة. وهو نفسه يمتد بالاتجاه الشمال الغربي مكوناً أيضاً أساس جدارين آخرين هما (١٧) و(٢٦). ومع أساس الجدارين هذا يتصالب أساسا جدارين

اثنين هما (١٩) و (٢٣) ويشكل معه أساس الجدار (١٩) زاوية قائمة، أما أساس الجدار (٢٣) فيلتقي مع أساس الجدار (٢٦) بزاوية منفرجة. ويتكون هذا المبنى من الحجرات التالية:

الحجرة I

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
المكتشف من الأول	٢١	١,٤ م	—	—
طوله المفترض مع البوابة	٢١	٢,٥ م	—	—
المكتشف من الثاني	١٨	٢ م	—	—
الثالث	٢٠	٢,٣ م	—	٣,٣
الرابع	١٦	١,٧٥ م	٢,٢ م	—

الحجرة II

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	٢٢	٢ م	٢,٥ م	—
الثاني	١٩	٥,٢ م	٥,٦ م	—
الثالث	١٧	٤,٢٥ م	—	٣,٣ م
الرابع	١٨	٥,٦ م	—	٦,٤ م

الحجرة III

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
المكتشف من الأول	٢٧	٠,٧٥ م	—	—

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الثاني	لم	يكتشف	بعد	
الثالث	٢٦	٢,٢٥ م	—	٣,٣ م
الرابع	١٩	٥,٦ م	—	٦,٤ م

الحجرة IV

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	٢٦	٢,٥ م	—	٣,٣ م
الثاني	لم	يكتشف	بعد	
المكتشف من الثالث	٢٤	٠,٥ م	—	—
الرابع	٢٣	٢,٥ م	—	٤ م

الحجرة V

أساس الجدار	رقمه	الطول الفراغي	طوله بزاوية واحدة	طوله بزاويتين
الأول	٢٤	٠,٥ م	—	—
الثاني	لم	يكتشف	بعد	
الثالث	اكتشفت معالمه المدمرة في مخزن الغلال رقم ١			
الرابع	٢٣	٥,٢٥ م	—	—

د ـ تحليلات وضع المبنيين وتفسيرات أولية

نلاحظ في عمارة هذين المبنيين أن بعض أساسات جدرانهما لا تتصل ببعضها في نهايتها اتصالاً ذا نمط معماري واحد، أي أنها

لا تتشابك في نهايتها بعضها ببعض، وبالتالي يمكن تحديد نهاية الأساس بصورة واضحة، وكأن الجدار الواحد كان يستند على الجدار الذي يلتقي به استناداً: فمثلاً يسهل علينا تحديد امتداد الجدار (٥) والتقائه بأساس الجدار (١٦)، ولكن يصعب علينا مثلاً أن نحدد أياً من (٢) و(١٢) الفرعي وأيهما الرئيس لأن المعماري شبك النهايتين بعضهما ببعض. والحال نفسه بالنسبة لالتقاء الأساسين (١٢) و(١٤). واستناداً الى ذلك يمكن القول إن المعماري أقام أولاً أساسات الجدران التالية من المبنى الأول: (٢) و(٩) و(١٠) و(١٢) و(١٤) ثم أقام أساسات الجدران (١) و(٣) و(٤) و(١٦)... الخ.

وأما الجدار (٥) فهو الوحيد من جدران الحجر الغشيم والمشذب وأساسه مشيد على الصخر مباشرة، وهو نفس الصخر الذي نقر فيه البئر (١) المكتشف في موسم عام ١٩٧٦ م. فبالرغم من انخفاض سويته المكتشفة عن سطح الأرض بالقياس الى بقية سوية أساسات الجدران الغشيم يبقى هناك فارق كبير في عدد المداميك المكتشفة منه والمكتشفة من الأساسات الاخرى: ان ارتفاع سطح الصخر الطبيعي، الذي يقوم عليه هذا الأساس بالقرب من البئر، عن سطح البحر هو ٥٩١ سم، في حين نجد ارتفاع أسفل المدماك المتبقى من أساس الجدار (١٠) هو ٦٩٧ سم، أي أن هناك فارقاً يصل الى ١٠٦ سم، وهذا الأساس الأخير يقوم على أنقاض شأنه في ذلك شأن أساسات الجدران الأخرى في المبنيين الأول والثاني باستثناء أساسي الجدارين (١٩) و(٢٣) في المبنى الثاني اللذين يقومان على جدار من الحجر المنحوت هو (آ)، وأيضاً باستثناء أساس الجدار (٢٦) على أساس الجدار (ز). (راجع المخطط: ٨ وانظر المخطط: ٧).

وهناك فارق بين ارتفاع المتبقى من عتبة البوابة (آ) وبين المتبقى من المداميك العليا من الجدار (٥) ٦٩٢ - ٦٨٠ = ١٢ سم. وهذا يعادل

ارتفاع مدماك واحد فقط.

وتقودنا البوابة (آ) الى داخل الحجرة ا التي يشكل جزء من الجدار (٥) أساسها الثالث (أخذنا هنا تنظيم ترقيم مساقط الحفريات التجريبية نفس مبدأ تنظيم ترقيم أساسات جدران الحجرات، راجع أيضاً الهامش الاخير ص: ٢٠٨)، في حين توجد البوابة في مدماك أساس الجدار (٢) الذي يكون أساس الجدار الرابع فيها وهو يلتقي مع الجدار (٥) في زاوية شبه قائمة، بينما لا يوجد من أساس الجدار (٢) إلا مدماك واحد فقط وفيه توجد البوابة، وهذا يعني ان البوابة تخترق أصلاً المدماك الوحيد وهو الأسفل في أساس الجدار هذا، مما يدل على أن المعماري جعل أساس الجدار (٢) يتكون أصلاً من مدماك واحد فقط. وبما أنه يجب أن تكون أرضية الحركة في الحجرة الواحدة عادة مستوية (إلا إذا كان هناك درج يصعد عليه المرء بين حجرتين أو قسمين من المبنى) لذلك لابد أن تكون أرضية الحركة التي تتبعناها واصطدمت بعتبة البوابة هذه (ص: ١٣ واللوحة: ٥٥) لابد أن تكون من نفس عصر البوابة وبما أنها اصطدمت بمداميك علوية من الجدار (٥)، فإنها بالتالي تكون أحدث زمناً من المداميك الاخرى القائمة طوبوغرافياً تحتها من الجدار (٥)، إذا اعتبرنا أن المعماري اعتمد أصلاً بصورة عامة إقامة أساسات جدران بناءيه على أنقاض.

وهكذا فإن المعماري سند البناءين وخاصة البناء الأول على جدار كان موجوداً أصلاً من عصر سابق لعصره واستخدمه في تحديد جانب كبير من مبناه الأول هذا وذلك في الجهة الجنوبية الغربية منه، ويؤكد هذا التحليل طبيعة اللقى الاثرية التي اكتشفت بالقرب من الجدار (٥) هذا (راجع الفخار الأسود ص: ٤٣ من هذا المجلد، وراجع أيضاً ص: ١٩١ وما بعدها، الطبقة الحضارية الاغريقية).

ورب قائل يرد على هذا الرأي بالقول: إنه لم يكن بالامكان الوصول الى الصخر الطبيعي في مواقع أخرى من المبنى، وجوابنا على ذلك، إنه كان بإمكان المعماري مثلاً أن يقيم أساس الجدار (١) على الصخر الطبيعي الذي وصلناه في بعض جوانب الحفرية التجريبية (= حـ ت١ في ب١ لعام ١٩٧٤ م) بعمق ٨٤ سم فقط من سطح أساس الجدار (٢)، في حين يبلغ عمق الجدار (٥) من سطحه الى الصخر الطبيعي الذي يقوم عليه ١,١١ م بل ان الفارق بين ارتفاع أساس الجدار (١٠) بالقرب من مزلاق الباب والبوابة (جـ) وبين سطح الجدار (٥) هو ٧٦٣-٦٨٠=٨٣ سم. وبالاضافة الى ذلك فإنه يختلف عن سائر الأساسات في المبنى الأول بعرضه الذي يتراوح بين ٧٥ سم في جزئه الجنوبي الشرقي وبين ٧٨ سم في نهايته الشمالية الغربية.

ونتيجة لذلك يمكن القول ان معماريي هذين البناءين شيدا بناءيهما بدون إتقان وعلى أنقاض حضارات سابقة واستخدموا بعض بقاياها مثل الجدار (٥).

ثامناً ـ ختام التحليل الطبقي الحضاري للمكتشفات الأثرية الثابتة

لقد برزت أمامنا ست ظواهر أساسية خلال وصفنا للمكتشفات من الآثار الثابتة وتحليلنا لها:

١ - المنشآت المائية الكثيفة.
٢ - الجدار (آ).
٣ - الأعداد الهائلة من كسر الفخار وقطع العملة.
٤ - مخازن الغلال.
٥ - أساسات البناء من الحجر الغشيم أو نصف المشذب العليا.
٦ - حيز الرماد رقم (١) و (٢).

١) - لقد بلغ عدد **المنشآت المائية** في هذه الأمكنة المنقبة ثمانية: هي بئران اثنان وثلاثة أحواض كبيرة وحوضان صغيران ومكان دائري «لسقي المواشي!». ان وجود مثل هذا العدد الضخم في هذه المساحة المحدودة من الارض وكلها في الصخر الطبيعي باستثناء «مكان سقي المواشي!» وجزء من الحوض (٥) لا يدل على أنها كانت ملكية خاصة بل يشير الى أنها كانت ملكية عامة خلال معظم العصور التي سبقت الاسلام. لقد كانت هذه المساحة مكاناً عاماً قصده معظم سكان المدينة للحصول على مياه شربهم منه. ولكن لا يستبعد أيضاً أن تكون الأحواض، وخاصة الصغيرة منها قد

استخـدمت أيضـاً لحفظ السوائل الأخرى كالزيوت مثلاً. وهل كان ذلك ممكناً كله إلا في منطقة تجارية؟

٢) - وأما الجدار (آ) فقد بلغ طول المكتشف منه حتى نهاية موسم عام ١٩٨٣ م الثـلاثين متـراً، منهـا ما يزيد على عشرين متراً من الحجر المنحوت نحتاً جيداً فوق الصخر الطبيعي مباشرة وكنا قد أرّخناه في العصر الهيللينستي. وان مثـل هذا الجـدار لا يمكن أن يكـون في هذا المـوقع وبالقرب من هذه المنشآت المائية إلا لوظيفة محددة، كانت على الارجح حمايتها..

٣-٤) - وتؤكد الظاهرة الثالثة، وهي أعداد الكسر الهائلة من الفخار والخمس وأربعين قطعة عملة التي عثرنا عليها في هذا الموقع[٣]، أن المكان كان قبل نشر الدعوة الاسلامية في شمال أفريقية مكاناً لممارسة التجارة. ويشير وجود تسعة مخازن غلال اكتشفناها ـ حتى الآن ـ الى أن هذا المكان كان حيوياً لأهل المدينة، وهل كان إلا مركز المدينة التجاري الرئيس!؟.

٥) - لقـد تأكـدنـا أن أسـاسات الجدران التي احتلت طبقة البناء الحضـارية الاسـلامية، قد أقيمت في سمْـك من الأنقـاض وعلى بعض أساسات الجدران الاقدم زمناً منها، وأن هذه الانقاض لا تعود الى العصر الاسلامي، وإنما الى عصر أقدم منه. ولذلك فإن كل لقية أثرية تقع تحت هذه الأساسات هي في الواقع أقدم من الأساسات نفسها، إذا لم يكن قد طرأ على موقعها أي تعديل.

٦) - ولكن هل سلم مركـز المـدينـة التجـاري هذا من التخـريب والتدمير والحرق طوال اثني عشر قرناً من الزمن منذ إقامة المنشآت المائية

---

٣) مرة أخرى أرجو أن يعمد قسم الدراسات التاريخية والأثرية قريباً الى نشر هذه القطع من العملة.

السابقة الذكر؟. لقد اكتشفنا خلال أعمال التنقيب تحت الطبقة الاسلامية حيزاً من الرماد، غطى مساحة كبيرة من المنطقة، مما يدل أن حريقاً هائلاً حدث في المنطقة وأتى على جانب كبير من الأبنية التي كانت قائمة حتى نهاية العصر البيزنطي في مركز المدينة هذه. ولا أستبعد أن يكون ذلك قد حدث عندما حاصر «عمرو بن العاص» مدينة توكرة.

ولذلك أقام المسلمون أبنيتهم في هذا الموقع بغض النظر عن وجود الصخر الطبيعي المرتكزة عليه بصورة مباشرة. نعم لقد أقام المسلمون هذه الأساسات بشكل سريع لدرجة أن أساس جدار منها أقيم مباشرة على فوهة مخزن الغلال (١)، مما يدلنا على أن «مخازن الغلال» قد فقدت أهميتها في عهدهم.

ولكن هذا التدمير لم يكن الوحيد في مركز المدينة التجاري:

لقد اكتشفنا «حيزاً» آخر من الرماد فاق اتساعه اتساع الأعلى منه السابق الذكر. وكان ممتداً على طول ارتفاع المدماك الأول من الجدار (آ)، وبلغ سمكه «٥٠» سم أحياناً. وهو دليل قاطع على أن حريقاً قد شب في هذا الموقع وأتى على معظم الأبنية التي كانت قائمة فيه. وأرجح أن ذلك قد حدث في عهد الامبراطور الروماني «تراجان» خلال عام ١١٥ م عندما ثار اليهود في مدينة «قورياي» (= شحات) وامتدت ثورتهم هذه الى مدينة توكرة نفسها.

وأعاد الامبراطور بناء مركز المدينة التجاري وأبقى على المنشآت المائية قائمة، الى أن عدل البيزنطيون في الجدار (آ) باتجاه الشمال الشرقي وألغوا الأحواض بردمهم لها، وأقاموا جزءاً من الجدار (آ) فوق الحوض (١)، بينما أبقوا على مخازن الغلال وعلى البئرين (١) و(٢) كمصدرين للمياه الى أن انخفض مستواها فيهما فأدى ذلك الى ردمهما.